ألسنتهم، ولا ترتجف أحشاؤهم، ولا تتنكّس رؤوسهم، ولا تمتدّ أيديهم للاستجداء في حضرة عظيم مهما عظم، أو حاكم مهما يكن سلطانه، أو زعيم مهما تكن زعامته.

★ ★ ★

عفوك يا أخاديد لبنان!

يا مقالع المفاتن والأسرار، وأوكار الأغساق والأسحار. يا مخادع النسمات الناعسات ومسارح الرياح العاصفات. يا مقابر الضوضاء ويا منابر السكينة. لكأنّك في المرّيخ ونحن في زُحَل. وإلاّ لَمَا فاتنا أن ننحدر إلى أعماقك لنرتفع إلى أعالينا، وأن ندفن ضجيجنا في أحشائك لنسمع ما تبثّه سكينتنا، وأن نسكر بمفاتنك لنصحو وفي أيدينا مفاتيح أسرارك، وأن نكفّن العين بظلماتك لتكتحل بأنوارك. أنت معابر يعبرها البحر إلى القمم وتعبرها القمم إلى البحر. فما أجلك معابر من أغوار الإنسان إلى أعاليه، ومن أعاليه إلى أغواره. ولكن لقوم يفتّشون لهم عن معابر، وإذ يجدونها يعرفون كيف يعبرون. أمّا نحن فلا نفتّش إلّا عن رقاب نطأها بنعالنا وعن نعال تطأ رقابنا. فذلك في اعتقادنا منتهَى الرفعة والمجد والجلال.

★ ★ ★